الدكتور برناردو المحسن الكبير

توفي بالامس رجل اقلُّ ما يقال فيهِ انهُ عظيمٌ . وقد قامت عظمتهُ باحياء النفوس الهالكة وانتشالها من وهدة الفقر واليأساء

والرجل المشار اليهِ هو الدكتور برناردو الانكليزي مولدًا والايرلندي اصلاً . ولد سنة ١٨٤٥ ولما ترعرع دخل احدى مدارس الطب استعدادًا للخدمة في الصين كاحد المرسلين فرأى ذات يوم غلامًا رثَّ اللباس مستفع السحنة فرقَّ لهُ وسألهُ عن حالهِ فاخبرهُ الغلام انهُ يتيم لا مأوى لهُ يأوي اليهِ ولا سند يعتمد عليهِ وان لهُ رفقاء كثيرين حالهم شرٌّ من حالهِ فطلب برناردو منهُ ان يريهُ اياهم فمشى امامهُ الى حيث كانت زمرة منهم نائمة . قال الدكتور يصف ذلك المنظر " فرأيت احد عشر غلامًا نائمين في العراء على سطح احد المنازل وقد اتخذوا الحجارة مسندًا لرؤوسهم والتحفوا السماء وادخلوا اقدامهم في الميازيب طلبًا للدفء فمنهم من اضطجع على جنبهِ وجمع رأسهُ الى رجليهِ كما تفعل الكلاب امام النار ومنهم من انضم الى رفيقهِ تخفيفًا لالم البرد كما تفعل الغنم . ولاح لي ان عمر اكبرهم نحو ١٨ سنة والبقية بين ٩ و ١٤ فراعني انهم كلهم لا مأوى لهم ولا من يعولهم وقلت في نفسي ما هؤلاء المساكين الاَّ بعضٌ من كلٍّ وشعرت كأن يد الله مدّت وازاحت الستار من امام عينيَّ لأرى خلفهُ ما يقاسيهِ كثيرون من الاولاد في لندن من الشدة والبرحاء فعقدت النية اولاً على فعل ما استطيع فعلهُ وحدي وهو انقاذ الولد البائس الذي كان اول من رأيت من هؤلاء المساكين ثم على السعي في انقاذ امثالهِ "

وحدث بعد ذلك ما فتح الباب في وجههِ وشدّد عزيمتهُ على السعي والعمل . وهو انهُ عُقد اجتماع للمرسلين في احد احياء لندن وغاب بعضهم فطلب رئيس الاجتماع من برناردو ان يتكلم بدلاً منهُ وكان لا يزال تلميذًا في مدرسة الطب فتمنَّع عن الكلام تهيبًا لانهُ لم يكن قد خطب في حفلة عمومية من قبل ولكن الرئيس وقف وقال انهُ نظرًا الى غياب بعض الخطباء طلبت من احد تلامذة الطب ان يقص علينا شيئًا عن اشغالهِ المدرسية قبل سفرهِ الى الصين قريبًا . فصفق السامعون فلم يسع برناردو اذ ذاك الاَّ ان يمتثل فنهض وهو لا يكاد يعي مما عراهُ من الحياء وبدأ الكلام وعيناهُ مغمضتان ليستجمع شوارد الموضوع وينسى مكان وجودهِ . فجعل يتعثَّر اولاً ويتمتم حتى اذا امتلك قواهُ اخذ يتدفق في الكلام تدفق السيل ويصف هول المناظر التي رآها في ايست اند احد احياء لندن وينسي نفسهُ وسامعيهِ حتى بلغ كلامهُ اعماق القلوب

ولما فرغ من الكلام دوت جوانب القاعة بالتصفيق الشديد علامة الاعجاب والاستحسان

وما كاد ينزل عن المنبر حتى استقبلتهُ فتاة خادمة وقالت لهُ "قد جئت الى هذا المكان لمساعدة المرسلين وجعلت دأبي الصلاة لاجلهم منذ سنين . وانا لست الاَّ خادمة فلا يسعني بذل الكثير فوفرت كلَّ ما استطيع لهم . ولكنني لما سمعت كلامك علمت ان الوثني على ابوابنا لا في اقاصي الصين وحدها فالتمس منك ان تقبل مني لاولادك المساكين ما جمعتهُ لمساعدة المرسلين" . ثم وضعت في يدهِ صرّة نقود وذهبت في سبيلها ولم يرها بعد ذلك . ولما وصل الى منزلهِ فكَّ الصرة فاذا فيها نحو ثلاثة غروش وكانت اول الدراهم التي جاءتهُ من الجمهور والبذرة التي نبت منها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وهو ما جمعهُ مدة خدمتهِ البالغة نحو ٤٠ سنة

ونشرت الجرائد خطبتهُ واطَّلع عليها لورد شفتسبري فاثَّرت فيهِ تأثيرًا شديدًا فدعا برناردو للعشاء عندهُ . وبعد العشاء سألهُ وهو بين مصدِّق ومكذِّب هل نظنُّ انا نرى غلمانًا نائمين في العراء هذه الليلة . فأجاب بالايجاب فانكر بعض الحاضرين قولهُ وطلبوا منهُ ان يدلَّهم على المكان الذي يظنُّ الغلمان نيامًا فيهِ فقام امامهم وتبعوهُ على الاثر واللورد معهم حتى وقفوا حيث رأوا بعيونهم ما تحققوا بهِ صدق قولهِ . وكان ذلك بدء عمل من اعظم الاعمال الخيريَّة ومبرَّة من اشرف المبرات فجمع برناردو على اثرهِ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كما تقدَّم ربّى بها نحو خمسين الف يتيم ويتيمة فخرجوا من ملجإهِ شبانًا وشابات ليعضدوا المجتمع الانساني بما استفادوهُ علمًا وعملاً

واول ملجإ انشأهُ كان في مكان اسمهُ ستابني بلندن وذلك سنة ١٨٦٦ ثم جعل يوسعهُ بما يضيفهُ اليهِ من المباني حتى صار دارًا كبيرة سميت ملجأ برناردو وكني هو "بابي الذين لا اهل لهم" وعدد الذين يربون فيها الآن يزيد على ستة آلاف نفس وانشأ ملاجئ اخرى في غير لندن من مدن انكلترا وقراها

ولم يقف عند هذا الحدّ بل شرع يفكّر في طريقة يمكّن بها الذين يخرجون من ملجإهِ من العمل خارجهُ فاهتدى اليها وهي انهُ انشأ ادارة للهاجرة وجعل يسفّر الشبان والشابات الى كندا حيث اشترى مزارع وحقولاً تقدر مساحتها بالوف من الافدنة وترك كبار الشبان يعملون فيها واما الصغار والبنات فاعطوا اعمالاً اخرى . وكان يرسل كلَّ سنة من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ نفس من ملجإهِ الى كندا فيجدون لهم اعمالاً ويفلحون كلهم ما عدا ٣ في المئة على وجه التعديل

وفي يوليو الماضي نشرت جريدة التيمس عريضة بامضاء كثيرين من كبار رجال الدين

والسياسة والادب في لندن مثل استف لندن واسقف ستانبي واللورد روبرتس والسترست صاحب مجلة المجلات وغيرهم وقد طلبوا فيها من الامة الانكليزية ان تقدم على الاكتتاب بالاموال لمساعدة ملاجئ برناردو تذكاراً لعيد ميلاده وأرسلت اليه جلالة ملكة الانكليز رسالة برقية في يوم عيده تهنئه بها وتدعو لعمله بالنجح العاجل

وفي سبتمبر الماضي اصابته نوبة قلبية ذهبت بحياته فكتبت الملكة رسالة تعزية الى ارملته. وعرضت جثته فمرَّ من امامها الوف من عارفي فضله والمعجبين به . واحتفل بدفنه احتفال قلَّ نظيره فمشى في مقدمة جنازته الوف من الاولاد الذين في ملاجئه وقد صفوا صفوفاً عديدة على حسب سنهم ومشى خلف نعشه كثيرون من عية القوم ونخبة الامة الانكليزية ودفن مأسوفاً عليه . فيا سعد رجل يعيش ويموت في امة تعرف اقدار الرجال

اليزه ركلي

اليزه ركلي زعيم من زعماء الفوضويين وعالم من علماء العصر الذين يشار اليهم بالبنان وهو صاحب الجغرافية العمومية الجديدة التي صدرت في تسعة عشر مجلداً كبيراً . ولد سنة ١٨٣٠ ودرس على كارل ريتر الجغرافي الالماني وكان من المتطرفين في الحرية فاضطرَّ ان يخرج من فرنسا سنة ١٨٥١ واقام سبع سنوات في انكلترا واميركا حيث اتسعت معارفه بالاسفار ثم عاد الى فرنسا وانضمَّ الى الكومون فنفي منها بعد الحرب وعاد اليها لما صدر العفو العام سنة ١٨٧٩ وشرع في تأليف جغرافيته الكبيرة وهو في المنفى. وله كتب كثيرة من هذا القبيل مثل كتاب الارض في مجلدين كبيرين والظواهر الارضية وتاريخ جبل . وله كتاب تركه من غير طبع في اربع مجلدات موضوعه التاريخ وتأثير الجغرافية فيه . وهو من نوابغ الكتاب ومن اكثرهم تدقيقاً

وقد كان كريماً جواداً تنطبق سيرته على تعاليمه فاستعزَّ به الاشتراكيون والفوضويون المعتدلون وكانت وفاته في الرابع من شهر يوليو الماضي